الوحدة الخامسة: المدارس الاقتصادية

تمهيد:

لقد كان للفكر الاقتصادي امتداد وتطوّر حسب حالة المجتمعات، وفي أعقاب التغيرات المتلاحقة والتطورات الطارئة على المجتمعات الغربية خلال القرون الماضية خاصة مع بداية القرن الخامس عشر أين بدأت تتشكل بوادر أبحاث ودراسات تؤسس لفهم الاقتصاد وتساعد في معالجة قضاياه ومشكلاته المؤثرة على المجتمع، فقد شغلت القضايا والظواهر الاقتصادية حيّزا كبير من الدراسة والتحليل، وتشكلت مدارس تبنى على مبادئ وأسس لتطوير الاقتصاد وبناء نظام اقتصادي كفء.

من خلال هذه المحاضرة سنحاول الإحاطة بنماذج عن المدارس الاقتصادية، من خلال التعريف بالمدرسة التجارية، الطبيعية، الكلاسيكية، وأخيرا المدرسة النيو–كلاسيكية.

1 –المدرسة التجارية:

ظهرت المدرسة التجارية في القرن السادس عشر (16م) واستمرت حتى القرن الثامن عشر (18م) تعرف بالمركانتيلية، وكانت تمثل بعض فئات المجتمع كالتجار والأمراء، تتمحور حول " الثروة، وصناعتها"، إذ تشير الثروة إلى" المعدن الثمين" الفضة والذهب، تتلخص أفكار هذه المدرسة في ثلاث صيغ:

1 –الصيغة المعدنية:

تقوم على اعتبار أن المعدن الثمين هو الثروة التي يجب على الدولة رفعه ومنع خروجه من البلاد، واعتمدت هذه الصيغة على مجموعة من الوسائل والآليات لزيادة الاحتياطي من المعدن، تتمثل في:

- تقوية أسطول الدولة البحري من أجل نقل المعدن الثمين من الخارج إلى الداخل (سواء عن طريق الغزو، النهب، التجارة).
- إقامة مراقبة جمركية صارمة لمنع تهريب المعدن خارج الدولة.

2 –الصيغة النهائية:

وتقوم على اعتبار أن الوسيلة الأفضل لزيادة الثروة والاحتياط من المعدن الثمين هي إقامة صناعة قوية، خاصة مواد الزينة والترف، وتصديرها للخارج للحصول على المعدن، اعتمدت هذه الصيغة على الإجراءات الآتية:

- ✓ الإعفاء من الرسوم الجمركية على المواد الأولية مع شرط تصنيعها وإعادة تصديرها إلى الخارج.
- ✓ إعفاء السلع والبضائع الصناعية المصّدرة من الرسوم الجمركية مع شرط تحسين جودتها من أجل كسب أسواق جديدة.

3 -الصيغة التجارية:

وتمثل هذه آخر صيغة انتهت إليها المدرسة التجارية تهدف إلى زيادة احتياط المعدن الثمين وتحقيق ذلك عن طريق التجارة والملاحة البحرية، وتبنت التدابير الآتية:

- ✓ الحصول على ميزان تجاري أرجح أي الصادرات تزيد عن المستوردات برصيد ذهبي دائن أو موجب.
- ✓ تقوية الأسطول البحري وحصر التجارة الخارجية فيه.
- ✓ المطالبة بالحرية الاقتصادية على صعيد التجارة الخارجية.

لقد ركزت المدرسة التجارية على الميزان النقدي في الصيغة المعدنية، وعلى الميزان التجاري في الصيغتين الصناعية والتجارية، فقد تمحورت حول: كيف يمكن تحقيق أكبر زيادة في عدد مصدري البضائع، وتخفيض عدد المشترين في الدولة إلى أدنى حد ممكن؟

2 -المدرسة الطبيعية:

تعد المدرسة الطبيعية أو الفيزيقراطية ثورة فكرية جاءت كرد فعل على المدرسة التجارية ظهرت في القرن الثامن عشر (18م) بفرنسا مثلها أنصار الطبيعة إذ أرادو أن يقيموا أسس الاقتصاد على المصدر الطبيعي للثروة أي الزراعة، وتعرف باسم " مدرسة الحرية الاقتصادية، ومن أفكارها الاقتصادية نذكر:

- ✍ يوجد قانون طبيعي وموضوعي في الحياة الاقتصادية على غرار القانون الطبيعي والموضوعي في الطبيعة.
- ✍ تعد القوانين الاقتصادية مثل القوانين الطبيعية تماما ، فهي قوانين منطقية وعقلانية وعفوية وحرة.
- ✍ يكشف عن القوانين الاقتصادية بأدوات معرفية مثل الاستدلال والاستنباط والاستقراء.
- ✍ يعد حق الملكية الخاصة حقا أساسيا من أجل إنتاج الثروة وسندا للنظام الاقتصادي.
- ✍ يجب ربط الحرية الاقتصادية بحق الملكية الخاصة لأن الحرية تعبر عن جوهر النظام الطبيعي وبالتالي عن جوهر النظام الاقتصادي.
- ✍ تعد الزراعة القطاع الاقتصادي الوحيد المنتج للثروة لأنّها تزيد الثروة سنويا فضلا عن كون استهلاك السلع الزراعية لا يمنع تحديدها، و لا يؤثر سلبيا على مصدر إنتاجها.
- ✍ لا تنتج الصناعة والزراعة والنقل والتبادل أي ثروة لأن هذه القطاعات الاقتصادية لا تنمّي الثروة وإنّما تبددها أو تمنع تجديدها.

- ثروة المجتمعات تمثل حصرا في الإنتاج الزراعي أو ما يعرف " بالغلة الصافية" التي هي هبة من الطبيعة.

3 -المدرسة الكلاسيكية:

ظهرت هذه المدرسة في انجلترا نهاية القرن الثامن عشر (18م) وبداية القرن التاسع عشر (19م) نتيجة جهود مفكرين وعلماء أمثال " أدم سميث، دافيد ريكاردو، مالتوس" الذين حاولوا حل المشكلات المتعلقة بالاقتصاد، وقد ركزت هذه المدرسة على الإنسان الناجح، المصطلح عليه"بالرجل الاقتصادي أو العقلاني" فهذه الفكرة كانت أساس الاقتصاد الكلاسيكي، أين ينظر للإنسان كوحدة اقتصادية رشيد بطبعه، حيث بنيت مقاربات هذه النظرية على أساس هذا التوجه تحت شعار" **دعه يعمل دعه يمر** "، وتجسدت أفكارها في الرأسمالية الصناعية الملخصة في الأبعاد الآتية:

- العمل هو مصدر القيمة والثروة.
- الثروة تمثل البضاعة، أو الأموال المادية، وتعد الزراعة والصناعة أهم النشاطات لأنّها تسد الحاجات الإنسانية.
- تعد التكنولوجيا وتقسيم العمل والتخصص في الإنتاج أهم وسائل زيادة الإنتاج والإنتاجية.
- يكون رأس المال على شكل أموال نقدية أو عينية كالآلات والأراضي، والصناعات هي شرط لتحقيق الربح.
- منفعة السلعة تنتج عن الطبيعة والعمل البشري، بينما قيمتها التبادلية تنتج عن العمل البشري فقط.
- الحرية الاقتصادية هي الجوهر في الإنتاج والاستهلاك والدولة لا تتدخل في الحياة الاقتصادية إلا لضرورة.
- قانون العرض والطلب أو الوفرة والندرة من يحدد الأسعار، والسوق حرة.
- المنافسة هي جوهر السوق والنشاط الاقتصادي برمته.
- للنقود وظائف أساسية متعددة، فهي وسيلة تبادل، ومقياس للقيمة، وأداة للاكتناز، ووسيلة دفع.

4 -المدرسة النيوكلاسيكية:

نشأت هذه المدرسة نتيجة أعمال عدد من علماء الاقتصاد ظهرت في فترات متقاربة امتدت عبر العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشر (19م) والعقد الأول من القرن العشرين (20م)، ويطلق عليها اسم "المدرسة الحدية" وهي حركة فكرية وأكاديمية تحاول الاستمرار في نشر مبادئ الليبرالية والنظام الاقتصادي الرأسمالي، وتنقسم بدورها إلى عدد من المدارس مثل: (الكنزية، التوزان).

ومن مبادئ الفكر النيوكلاسيكي الاقتصادي نجد:

- التركيز على المفهوم الحدي أي نقطة التغير في تفسير الظواهر الاقتصادية.
- الاهتمام بالوحدة الاقتصادية أو الفرد بدلا من الاهتمام بالمجتمع ككل في تحليل السلوك الاقتصادي.
- افتراض أن الأفراد يتصرفون تصرّفا رشيدا عند قياسهم للمنفعة الحدية من السلع والخدمات، وعند موازنتهم للحاجات والمنافع المستقبلية.
- نادت بمبدأ الحرية الاقتصادية وعدم تدخل الدولة في الاقتصاد.
- بناء التحليل الاقتصادي على المنافسة الكاملة، مع الأخذ بعين الاعتبار الحالات الاستثنائية التي يسود فيها الاحتكار المطلق.
- حسب المفهوم الحدي الاقتصاد علم غير موضوعي بمعنى أنه يخضع للأحكام الشخصية والنفسية، فالطلب يتحدد بالمنفعة الحدية التي تمثل ظاهرة سيكولوجية.
- الاعتماد على الطلب كمحدد رئيسي للسعر.
- ساهمت في جعل الظواهر الاقتصادية قابلة للقياس من خلال اعتمادها على الأشكال البيانية والمعادلات الرياضية في توضيح العلاقات الاقتصادية والتغيرات التي تطرأ عليها.

خلاصة:

في الأخير يمكن القول أن المدارس الاقتصادية هي تيارات تعكس تنظير الباحثين للظواهر الاقتصادية، ومحاولاتهم لفهم طبيعة الاقتصاد من زوايا مختلفة، ومن خلال النماذج المذكورة نلاحظ أن كل مدرسة حاولت إبراز أهمية السلوك الاقتصادي في المجتمع بمنظور مختلف، عبر عنه ببناء الثروة عند التجاريين، أو الزراعة كعامل طبيعي لدى أنصار المدرسة الطبيعية، أو هي مبادئ وأسس للرأسمالية الصناعية المبنية على الحرية المطلقة والملكية الخاصة في الاقتصاد، أو في امتداد فكرة الرأسمالية لدى المدارس النيوكلاسيكية بمفهوم الحدية.